



مركز البحوث والدراسات في التعليم العالي
Center for Higher Education Research and Studies
www.chers.edu.sa

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION



نشرة علمية تصدر عن مركز البحوث والدراسات في التعليم العالي

العدد (٥٥) - محرم ١٤٣٦ هـ

قراءات مختارة في التعليم العالي



انتشرت الجامعات المعاصرة ذات النشأة والملاح الأوربية في دول العالم تحت ظروف السيطرة والاستعمار؛ نتيجة لبروز التاريخ الغربي الحديث. ومن ثم فقد تقبلت الجامعات في دول العالم غير الغربية القيم الغربية الأساسية، التي لا تعكس ثقافة تلك الدول ولا تقاليدها. ففي المجتمعات غير الغربية، كان توطين النموذج الغربي مهمة شاقة عند تطوير جامعاتها المعاصرة.

طريق طويل
أمام تحديث
الجامعات
الصينية

وفي بلد مثل الصين يتمتع بجذور ثقافية مختلفة وتراث تعليمي عال مغاير للنمط الغربي، كانت محاولة التكامل بين الفكرة الصينية والفكرة الغربية للجامعة واضحة بشكل مميز. وعلى الرغم من كون الصين حضارة عريقة، ذات تقاليد غنية بشكل نادر في التعليم العالي، إلا أن جامعاتها المعاصرة فكرة مستوردة من خارجها.



عامي ١١٢٧-١٢٧٩م، فقد دمجت مع نظام المدارس الحكومية في عصري (يوان) و(كنغ) بين عامي ١٢٧١-١٩١١م. وفي عصر (كنغ) بين عامي ١٦٤٤-١٩١١م، تحول الهدف منها ليصبح إعداد الطلاب للاختبارات الإمبراطورية. وقد كانت الاستقلالية والحرية العلمية -وهما ركيزتان أساسيتان للتعليم الأوروبي حتى منتصف القرن التاسع عشر على الأقل- غائبتين في التراث الصيني.

التأثير الغربي

مع الانتشار العالمي للنموذج الأوروبي للجامعة بعد الحربين بين بريطانيا والصين (١٨٢٩-١٨٢٤م، ١٨٥٦-١٨٦٠م)، كان بمقدور المؤسسات الصينية للتعليم العالي احتلال الصدارة في استيعاب الثقافة الغربية والعلوم والتقنية. ولكنها

كان التركيز الصيني على الإدارة السياسية التي تحددها الطبقات الحاكمة، ومن ثم فقد بدأ نظام التعليم العالي بعلاقة مختلفة جوهرياً بين الحكومة والتعليم العالي. فبينما كانت الجامعات الغربية أحياناً -أو غالباً- في صدام مع سلطة الحكومة، فإن مؤسسات التعليم العالي الصينية كانت خادماً موالياً للإمبراطور وللطبقة الأرستقراطية.

كانت الاختبارات الإمبراطورية والأكاديميات جزءاً مهماً من نظام التعليم العالي الصيني القديم. وقد سادت تلك الاختبارات الإمبراطورية المصممة لاستقطاب موظفي الحكومة لضمان التوظيف بناء على المزايا حتى عام ١٩٠٥م. أما الأكاديميات التي بلغت ذروتها في عصر (سونغ) الجنوبي بين

لقد أسس النظام التعليمي الصيني القديم خلال عصر (يو) بين عامي ٢٢٥٧-٢٢٠٨ قبل الميلاد، وأنشئت أولى مؤسسات التعليم العالي الصينية في عصر (زو) الغربي بين عامي ١٠٤٦-٧٧١ قبل الميلاد، كما تأسست أكاديمية (جيكسيا) الشهيرة قبل تأسيس الأكاديمية الأفلاطونية في اليونان بعشرين سنة.

منطق النظام الصيني

تطور نظام التعليم العالي الصيني اعتماداً على منطقته الخاص. وكان تركيزه بشكل عام منصباً على المعرفة المتعلقة بالمجتمع الإنساني أكثر من المعرفة المتعلقة بالعلوم الطبيعية. كما تجاهل المعرفة حول بقية العالم، واهتم بنشر المعرفة على المستوى المناطقي.



الفكرية. وانعكس عزم الصين الجازم على فصل العلوم المتقدمة للدول الغربية والرأسمالية -مما كان لا يزال يوصف بأنه "أفكار منحطة" و"نمط معيشة بورجوازي" - على المعادلة المستخدمة في جهود (دينغ) الأولى للتحديث "التعليم الصيني هو الجوهر، والتقنيات الغربية لفائدتها".

ومنذ تسعينيات القرن الماضي، أكدت سياسات التعليم العالي الصيني السعي إلى الوصول بجامعاتها نحو العالمية. إن عديداً من التنظيمات الصادرة في تلك الفترة، إضافة إلى التوسع الهائل في التعليم العالي الصيني من عام ١٩٩٩م، يعكس رغبة شديدة في اللحاق بالغرب. وهذه الرغبة تعكس تغيرات كبرى في المجتمع الصيني؛ حيث تقوم الصين بإصلاح اقتصادها ليعتمد اقتصاديات السوق. وتعد الرغبة في جامعات منافسة عالمياً دافعاً لأفضل الجامعات الصينية لتسير خلف جامعات أوروبا وأمريكا الشمالية، وتبني أعرافها العالمية. ولكن فكرة الوصول إلى العالمية مقلدة وليست أصلية. ففي خضم السعي إلى الوصول إلى مصاف الجامعات العالمية، فإن الجامعات الصينية تقارن نفسها مع (أكسفورد) و(ييل)، وتنسى تاريخ تلك الجامعات العريقة، فضلاً عن تاريخها نفسها.

إلى صدمات مستمرة بين الرؤية الصينية التقليدية والرؤية الغربية الحديثة لمفهوم الجامعة، ولمفهوم "الحدثة" نفسه.

وقد شهدت سبعينيات القرن الماضي لحظة تاريخية في تدويل التعليم العالي في الصين، وذلك عندما سعت الحكومة وبوضوح إلى التخلي عن الماضي والتوجه نحو المستقبل. لقد سعت إستراتيجية "تلمس الأحجار لعبور النهر" التي طرحها (دينغ زياو بينغ) إلى التقليل من حجم الفروق بين الصين والغرب. ونتيجة لذلك، فقد قل من القيم التقليدية في التعليم العالي مقابل إسهام التعليم العالي في النمو الاقتصادي. ففي ثمانينيات القرن الماضي، طبقت الصين سلسلة من الإصلاحات المأخوذة من نماذج أجنبية، من بينها عدم المركزية والتحول نحو اقتصاد السوق، دون سبر أسسها

بدلاً من ذلك استمرت في تدريس الطلاب المعارف الموسوعية للقيم الكونفوشية، مع قليل من المعرفة عن العالم الخارجي. وحتى بعد أن أثبتت النماذج الغربية في التعليم العالي قوتها، فقد بقي تواصل الصين مع العالم الخارجي مقيداً بمحاولة المحافظة على الثقافة التقليدية، وحماية سلطة الطبقة الأرستقراطية.

بدأت الصين وبالتدريج في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالتخلص من الانعزال العلمي، ومهدت الطريق أمام عصر جديد بتجربة النمط الغربي للجامعات. وقد كان الهدف الرئيس للتعليم العالي في الصين دمج المكونات المحلية مع الغربية؛ لتوطين النماذج الغربية، وللتقريب بين قضايا فلسفية من الثقافتين. ومع ذلك، فإن الاختلافات الثقافية العميقة أدت





مركز البحوث والدراسات في التعليم العالي
Center for Higher Education Research and Studies

تصدر هذه النشرة عن مركز البحوث والدراسات بوزارة التعليم العالي، وتستعرض مقالات أو تقارير ذات علاقة بقضايا التعليم العالي الحديثة ومجالاته وتطبيقاته، تتجاوز الخبر وتستدعي الوقوف عندها لأهميتها. يقوم الفريق المشرف على هذه النشرة بإعداد ملخص عن الموضوع من المقالة أو التقرير، مع ذكر المرجع أو الرابط للمقالة الأساسية.

هل ترغب في المشاركة؟

هل قرأت مقالاً وتود

مشاركتنا به؟

هل لديك أية ملحوظات

أو مقترحات؟

يسعدنا تلقي رسائلكم على البريد

الإلكتروني الخاص بالمركز

chers@mohe.gov.sa

أو العنوان التالي :

ص. ب. ٢٤١٣٧٥ الرياض ١١٣٢٢

هاتف : ٢٦٣٤٠٨١

فاكس : ٢٦٣٢٥٧٠

الآراء الواردة في هذه النشرة لا تعبر

بالضرورة عن رأي الوزارة أو أحد من

منسوبيها، وإنما تعبر عن رأي الكاتب

الأصلي للمقالة

إشراف

د. محمد بن عبدالعزيز الشريم

إخراج فني

م. جمال السعيد مشالي



رؤية تجعل الاستعداد الثقافى أولوية مماثلة لضمان دور الصين الشامل عالمياً. مازالت سياسات الدولة التي تعمل بعقلية "للحاق بالآخرين" تؤكد على أهمية التنمية الاقتصادية بوصفها مرجعاً رئيساً في كل جزء من المبادرة؛ مما يضع مرة أخرى قضايا الثقافة والقيم جانباً.

إن الجامعات المعاصرة مؤسسات متعددة المستويات، تظهر الأدوات التقنية على سطحها، بينما تحتل القيم الثقافية اللب، وتقع محاولات الصين المتكررة لاستيراد نماذج الجامعات الغربية في مستوى الأدوات التقنية غالباً. واعتماد القيم الأساسية في النموذج الغربي -مثل الحرية الأكاديمية والاستقلالية المؤسسية- لم تُفهم بشكل كاف، فضلاً عن تطبيقها. وفي القفزة الحالية للتعليم العالي الصيني يلحظ افتقار الاهتمام بالقيم الثقافية والمؤسسية. وإذا لم تستطع الجامعات الصينية التوفيق بنجاح بين القيم الصينية والغربية، فإن هدف الجامعة الحديثة في الصين سيبقى محدوداً. وسؤال الثقافة يعد جزءاً من عملية أكثر تعقيداً واتساعاً للبحث عن بديل للعولمة الغربية. وللوصول فعلاً إلى مستوى جامعة عالمية، فإن الجامعات الصينية يجب عليها أن تحدد طريقة صينية -إن لم تكن حصرية- للموازنة بين الأفكار المحلية والغربية للجامعات.

التحديات المعاصرة

تتظر الجامعات الصينية اليوم نحو جامعات النخبة الغربية -ولاسيما الأمريكية- بحثاً عن المعايير والسياسات المبتكرة وحلول مشكلاتها التنموية. وهذه حالة معظم الجامعات المرموقة بشكل خاص. وعلى سبيل المثال، فإن الإصلاحات في شؤون الموظفين التي قامت بها جامعة (بكين) في منتصف العقد الماضي صُممت بحذافيرها وفقاً للتجربة الأمريكية. لقد قام المسؤولون عن الإصلاح الوظيفي بالاقتراب الحرير من (هارفارد) و(ستانفورد) بشكل حصري لإضفاء الشرعية على عملهم. ولكن استنابت السياسات الأمريكية في هياكل جامعات صينية أهمل في كثير من الأحيان فوارق ثقافية مهمة. لم يكن تبني السياسات الأمريكية بأسلوب (الشراء بالجملة) مناسباً، بل كان في الواقع مستحيلاً، في ثقافة تتمتع بفوارق حضارية كبيرة وتتباين مع تقاليدها التعليمية.

وقد كانت أحدث مبادرات السياسات الصينية هي خطة التنمية والإصلاح التعليمي متوسطة وطويلة المدى (٢٠١٠-٢٠٢٠م)، التي اعتمدت في شهر مايو من عام ٢٠١٠م. وقد جعلت هذه السياسة الأولية للابتكار التقني والاستعداد له، ولكنها كسابقاتها افتقدت ما هو ضروري لإعادة بعث الصين، وبالتحديد وضع